مكتبة الخضراء للأطفال

# مُغامَراتُ السّندباد البَحْري

## الرّحلة الأولى

تأليف : قاسم بن مهني

دار اليمامة للنشر والتوزيع - تونس

قصة
ابتـ

مكتبة الخضراء للأطفال

# مُغامَرات السّندباد البَحْري

## الرّحلة الأولى

وزارة الثقافة
إدارة المطالعة العمومية
3762
~~1436~~
~~4053~~
~~2598~~ 1456

تأليف: قاسم بن مهنّي
رسوم: المنصف الكاتب
خطوط: المنجي عمّار

دار اليمامة للنشر والتوزيع - تونس

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

قَالَتْ شَهْرَزَادُ:

بَلَغَنِي أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ، أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ ٱلْخَلِيفَةِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ رَجُلٌ يَعِيشُ بِبَغْدَادَ، يُقَالُ لَهُ ٱلسِّنْدَبَادُ وَكَانَ فَقِيرَ ٱلْحَالِ، لَا يَمْلِكُ سِوَى ثِيَابِهِ ٱلْبَالِيَةِ، وَلَا يُجِيدُ حِرْفَةً مِنَ ٱلْحِرَفِ.

كَانَ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْمِسْكِينُ يَقْضِي سَحَابَةَ نَهَارِهِ مُتَجَوِّلًا فِي ٱلْأَسْوَاقِ، وَٱلشَّوَارِعِ، وَٱلْمَيَادِينِ، بَحْثًا عَنْ بِضَاعَةٍ يَحْمِلُهَا، مُقَابِلَ دُرَيْهِمَاتٍ يَأْخُذُهَا، لِيَبْتَاعَ بِهَا قُوتَ يَوْمِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَبِيتُ جَائِعًا فِي ٱلْأَزِقَّةِ.

وَفِي يَوْمٍ شَدِيدِ ٱلْحَرِّ، بَيْنَمَا كَانَ ٱلسِّنْدَبَادُ مَارًّا بِأَحَدِ ٱلشَّوَارِعِ، يَنُوءُ بِحِمْلِهِ ٱلثَّقِيلِ، وَٱلْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ غَزِيرًا مِنْ جَسَدِهِ، إِذْ قَالَ فِي نَفْسِهِ: "لِمَ لَا أَسْتَرِيحُ فَتْرَةً مِنَ ٱلزَّمَنِ." وَلَمَّا أَبْصَرَ أَمَامَهُ دَكَّةً تُظَلِّلُهَا شُرْفَةٌ، قَصَدَهَا، وَمَا كَادَ يَنْتَهِي إِلَيْهَا حَتَّى أَلْقَى حِمْلَهُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ يَمْسَحُ عَرَقَهُ ٱلْمُتَصَبِّبَ.

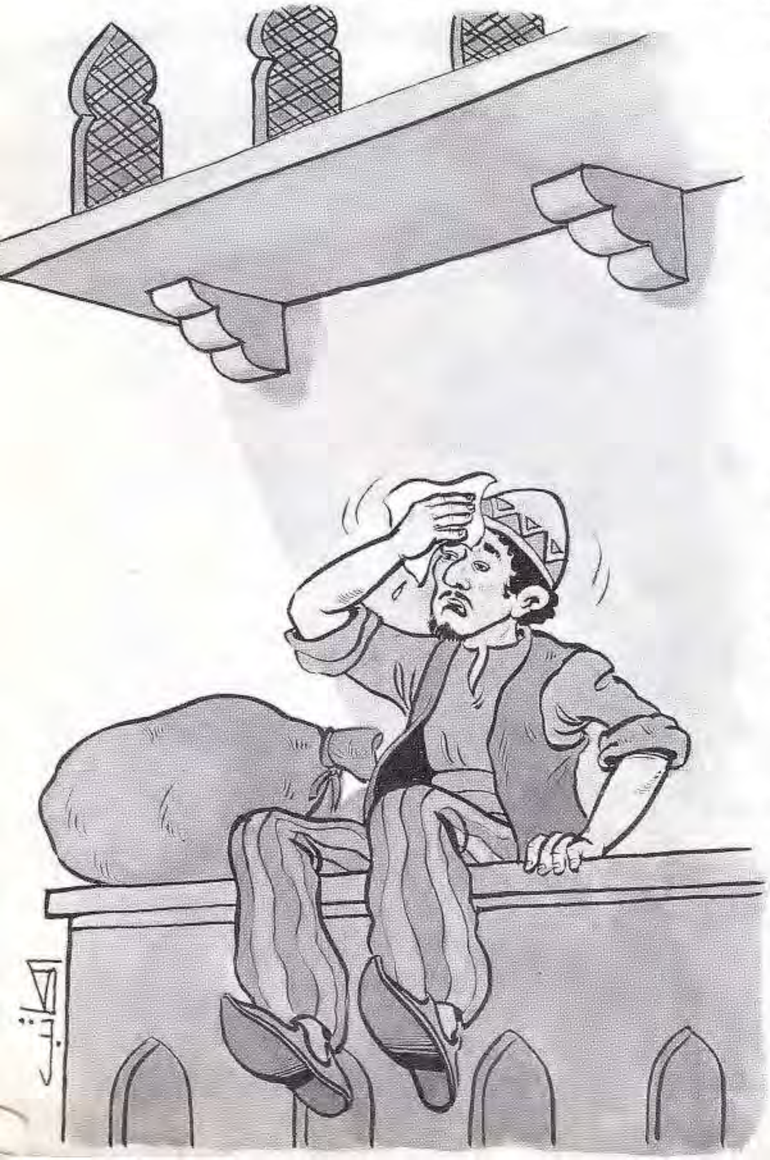

كَانَتِ ٱلدَّكَّةُ حَذْوَ بَابٍ كَبِيرٍ، تَدُلُّ هَيْئَتُهُ عَلَى

أَنَّ أَهْلَهُ مِنْ أَرْبَابِ ٱلثَّرَاءِ ٱلْعَرِيضِ، فَجَعَلَ ٱلسِّنْدَبَادُ يَتَأَمَّلُ فِيهِ، وَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذْ حَمَلَ إِلَيْهِ ٱلنَّسِيمُ ٱلْعَلِيلُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْقَصْرِ ٱلْكَبِيرِ ٱلشَّذَا وَٱلْعَبِيرَ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ ٱرْتَفَعَتْ أَصْوَاتٌ تَتَرَنَّمُ بِأَعْذَبِ ٱلْأَلْحَانِ، فَأَنْصَتَ إِلَيْهَا بِٱهْتِمَامٍ، ثُمَّ أَلْقَى نَظَرَاتٍ دَاخِلَ ٱلدَّارِ، فَشَاهَدَ بُسْتَانًا كَأَنَّهُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ، أَشْجَارُهُ بَاسِقَةٌ، وَثِمَارُهُ يَانِعَةٌ، وَأَزْهَارُهُ فَائِحَةٌ، وَمِيَاهُهُ جَارِيَةٌ، وَطُيُورُهُ شَادِيَةٌ، فَقَالَ: "تَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا قَصْرَ ٱلْخَلِيفَةِ، فَهُوَ لِأَحَدِ وُزَرَائِهِ."

وَمَا كَادَ يَفْرَغُ مِنْ كَلَامِهِ، حَتَّى دَغْدَغَتْ أَنْفَهُ رَائِحَةُ ٱلْأَطْعِمَةِ ٱلشَّهِيَّةِ، وَأَسَالَتْ لُعَابَهُ فِي فَمِهِ، فَتَذَكَّرَ أَيَّامَ جُوعِهِ وَبُؤْسِهِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ فِي ٱلدَّارِ: "سُبْحَانَكَ أَيُّهَا ٱلْخَلَّاقُ ٱلرَّزَّاقُ، أَنْتَ ٱلَّذِي تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَتُغْنِي مَنْ تَشَاءُ، وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ، تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ، لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ، بَلْ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، لَقَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ ٱلدَّارِ بِخَيْرِكَ ٱلْجَزِيلِ، فَعَاشَ سَعِيدًا، مُطْمَئِنَّ ٱلْبَالِ، بَعِيدًا عَنِ ٱلتَّعَبِ وَٱلشَّقَاءِ، أَمَّا أَنَا فَتَرَكْتَنِي مَحْرُومًا، لَا أَتَحَصَّلُ عَلَى لُقْمَةِ ٱلْعَيْشِ إِلَّا بَعْدَ ٱلْعَنَاءِ، وَٱلنَّصَبِ، يَلْفَحُنِي ٱلْحَرُّ فِي ٱلصَّيْفِ، وَيَلْذَعُنِي ٱلْبَرْدُ فِي ٱلشِّتَاءِ، وَكُلُّنَا عَبِيدُكَ، وَلَسْتُ أُرِيدُ ٱلِٱعْتِرَاضَ عَلَى حُكْمِكَ، إِنَّمَا عَبَّرْتُ عَمَّا جَالَ بِخَاطِرِي عِنْدَمَا رَأَيْتُ

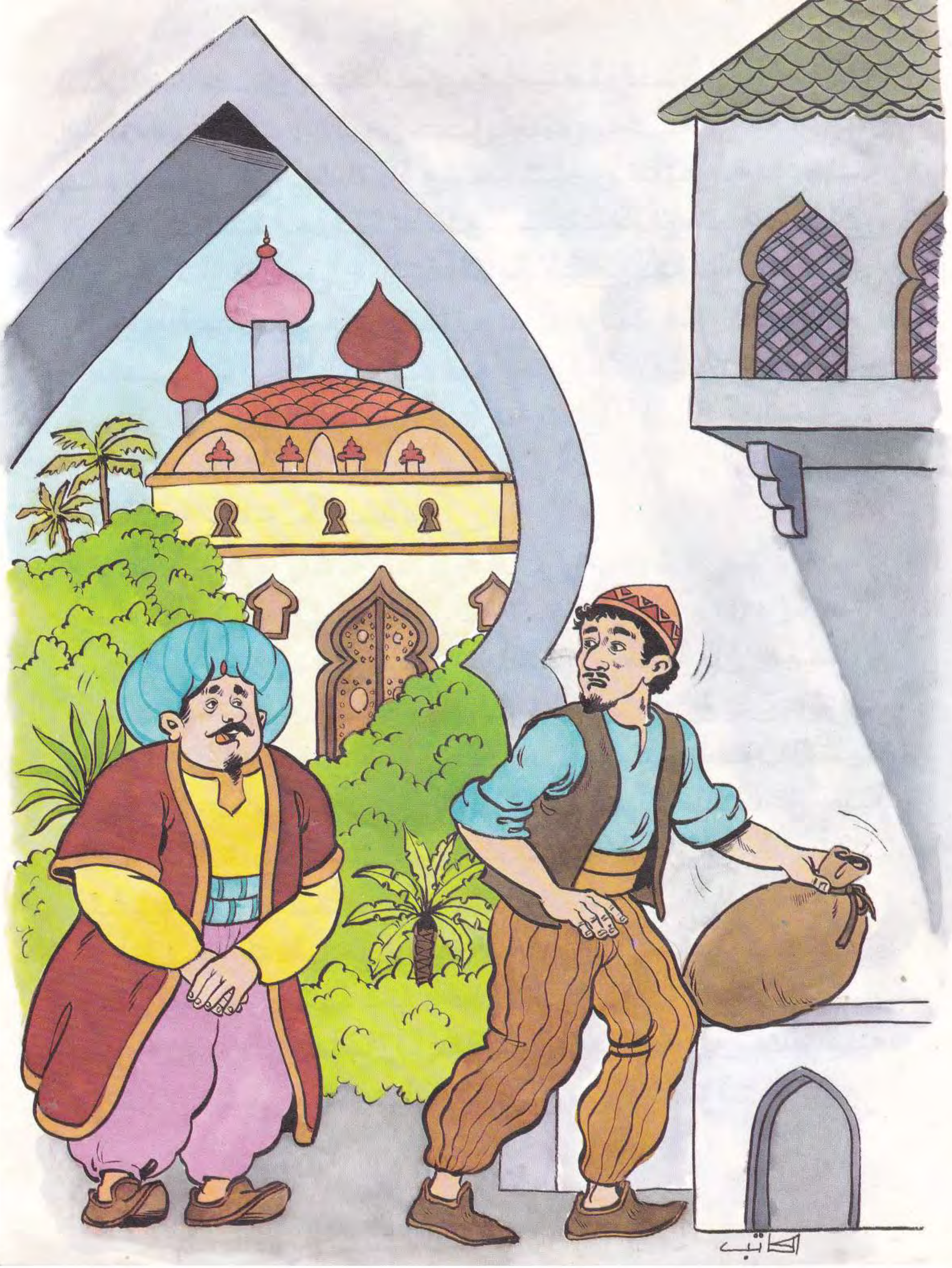
الكاتب

آثَارَ نِعَمِكَ فِي هَـٰذِهِ ٱلدَّارِ، فَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ ٱلذُّنُوبِ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ ٱلْعُيُوبِ.»

وَبَعْدَمَا فَرَغَ ٱلسِّنْدَبَادُ مِنْ حَدِيثِهِ وَدُعَائِهِ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ حِمْلَهُ بِيَدَيْهِ، اِسْتِعْدَادًا لِوَضْعِهِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، وَإِنَّهُ لَكَذَٰلِكَ إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ خَادِمٌ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْكَبِيرِ، بَادَرَهُ بِٱلتَّحِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

ـ سَيِّدِي يَدْعُوكَ.

ـ مَنْ هُوَ سَيِّدُكَ؟

ـ صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ.

ـ أَلَهُ حَاجَةٌ عِنْدِي؟

ـ لَا أَدْرِي.

ـ سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ.

وَسَارَ مِنْ فَوْرِهِ صَوْبَ ٱلْبَابِ، فَمَا كَادَ يَجْتَازُ ٱلْعَتَبَةَ، حَتَّىٰ رَأَىٰ عَدَدًا مِنَ ٱلرِّجَالِ جَالِسِينَ إِلَىٰ مَوَائِدَ طَوِيلَةٍ كَٱلنَّهْرِ، عَرِيضَةٍ كَٱلْبَحْرِ، عَلَيْهَا أَصْنَافُ ٱلْأَطْعِمَةِ ٱلشَّهِيَّةِ، وَأَنْوَاعُ ٱلْأَزْهَارِ ٱلشَّذِيَّةِ، وَقَدِ ٱنْتَظَمَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْهَا جَوْقَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ، لَا تَنْتَظِرُ إِلَّا إِشَارَةَ صَاحِبِ ٱلْبَيْتِ لِتَشْرَعَ فِي ٱلْعَزْفِ.

لَقَدْ تَصَدَّرَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَجْلِسَ، وَهُوَ كَهْلٌ مَلِيحُ ٱلصُّورَةِ، حَسَنُ ٱلْمَنْظَرِ، تَبْدُو عَلَيْهِ عَلَامَاتُ ٱلْهَيْبَةِ وَٱلْوَقَارِ، بَدَأَ ٱلشَّيْبُ يَلُوحُ فِي عَارِضَيْهِ، لَمَّا وَقَفَ ٱلسِّنْدَبَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ، سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِقُدُومِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ ٱسْمِهِ، وَحِرْفَتِهِ.

وَلَمَّا فَرَغَ ٱلسِّنْدَبَادُ مِنْ كَلَامِهِ، تَبَسَّمَ لَهُ صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ، وَقَالَ لَهُ فِي مُنْتَهَى ٱللُّطْفِ:

- مِنْ غَرِيبِ ٱلْأَمْرِ، أَنَّنَا نُسَمَّى بِنَفْسِ ٱلِٱسْمِ، فَأَنْتَ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَرِّيُّ، وَأَنَا ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ لِتُعِيدَ عَلَيَّ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ وَأَنْتَ جَالِسٌ عَلَى ٱلدَّكَّةِ.

- إِنْ كَانَ قَدْ ثَقُلَ عَلَيْكَ مَا سَمِعْتَهُ مِنِّي، فَأَرْجُو أَلَّا تُؤَاخِذَنِي عَلَيْهِ، لِأَنَّنِي لَمْ أَقُلْهُ حَسَدًا وَلَا تَبَرُّمًا.

- لَمْ أَدْعُكَ لِأَلُومَكَ عَلَى أَقْوَالِكَ، إِنَّمَا لِأُوَضِّحَ لَكَ شَيْئًا غَابَ عَنْكَ.

- مَا هُوَ؟

- لَمْ تَأْتِنِي هَذِهِ ٱلثَّرْوَةُ تَسْعَى، إِنَّمَا وَفَّرْتُهَا بَعْدَ جِهَادٍ شَابَ لَهُ فُؤَادِي، وَكِفَاحٍ تَوَاصَلَ عَدِيدَ ٱلسَّنَوَاتِ، أَخَذَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ نَفْسِي وَجِسْمِي.

وَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى جُلَسَائِهِ، وَقَالَ لَهُمْ:

- أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَانُ، أَنَّنِي لَمْ أُصْبِحْ مِنْ أَرْبَابِ ٱلثَّرَاءِ ٱلْعَرِيضِ إِلَّا بِكَدِّ يَمِينِي، وَعَرَقِ جَبِينِي، بَعْدَمَا تَحَمَّلْتُ أَتْعَابًا لَا تَخْطُرُ بِٱلْبَالِ، وَقُمْتُ بِمُغَامَرَاتٍ يَتَحَاشَاهَا أَشَدُّ ٱلنَّاسِ حِرْصًا عَلَى جَمْعِ ٱلْمَالِ، تَوَقِّيًا مِنَ ٱلْمَخَاطِرِ، وَٱلْأَهْوَالِ، وَبِمَا أَنَّ أَخِي ٱلسِّنْدَبَادَ ٱلْبَرِّيَّ يَجْهَلُ عَنِّي هَذِهِ ٱلْأَشْيَاءَ، فَٱسْمَحُوا لِي أَنْ أَرْوِيَ لَهُ قِصَّةَ رِحْلَاتِي ٱلسَّبْعِ، أَمَّا أَنْتُمْ فَلَا أَخَالُكُمْ تَجْهَلُونَهَا.

فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ:

- لَقَدْ تَرَامَى إِلَيْنَا بَعْضُ أَخْبَارِكَ ، وَسَمِعْنَا ٱلْكَثِيرَ عَنْ مُغَامَرَاتِكَ ، إِلَّا أَنَّنَا نَوَدُّ أَنْ نَغْتَنِمَ هَذِهِ ٱلْفُرْصَةَ ، لِنَسْمَعَ مِنْكَ مَا غَابَ عَنَّا ، فَزِدْنَا زَادَ ٱللَّهُ فِي زَادِكَ .

- حُبًّا وَكَرَامَةً .

وَٱسْتَوَى فِي مَجْلِسِهِ ، وَمَسَحَ لِحْيَتَهُ بِيَدِهِ ، وَشَرَعَ فِي سَرْدِ قِصَّتِهِ قَائِلًا :

مَاتَ وَالِدِي ، وَتَرَكَ لِي أَمْوَالًا وَفِيرَةً ، وَمَتَاجِرَ كَثِيرَةً ، وَمَسَاكِنَ عَدِيدَةً ، وَضَيْعَاتٍ فَسِيحَةً ، وَحَدَائِقَ جَمِيلَةً ، لَكِنَّنِي لَمْ أَهْتَمَّ بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ، فَضْلًا عَنْ تَنْمِيَتِهَا ، بَلْ أَخَذْتُ أُبَدِّدُهَا فِي ٱلْمَلَذَّاتِ ، وَٱلْمَلَاهِي ، وَعَلَى ٱلرِّفَاقِ ، وَٱلْأَصْحَابِ ، مُعْرِضًا عَنْ نَصَائِحِ أُمِّي ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ حَتَّى نَفَدَتْ ثَرْوَتِي ، عِنْدَئِذٍ نَدِمْتُ كُلَّ ٱلنَّدَمِ ، وَقُلْتُ : « لَيْتَنِي عَمِلْتُ بِتَوْجِيهَاتِ وَالِدَتِي » .

لَمْ أَسْتَسْلِمْ لِلْيَأْسِ ، وَٱلْأَحْزَانِ ، وَٱلتَّأَسُّفِ ، إِنَّمَا قَاوَمْتُ كُلَّ ٱلْهَوَاجِسِ ، وَلَمَّا قَهَرْتُهَا ، قَرَّرْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَلَى تَوْفِيرِ ٱلثَّرْوَةِ ٱلَّتِي بَدَّدْتُهَا ، فَبِعْتُ ٱلْأَمْلَاكَ وَٱلْعَقَارَاتِ ٱلْبَاقِيَةَ ، وَسَافَرْتُ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ ، وَٱبْتَعْتُ مِنْهَا بَعْضَ ٱلْهَدَايَا وَٱلتُّحَفِ ، شَحَنْتُهَا فِي إِحْدَى ٱلسُّفُنِ ، ثُمَّ رَكِبْتُهَا مَعَ بَعْضِ ٱلتُّجَّارِ ، فَسَارَتْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ ٱللَّهِ .

كَانَتِ ٱلسَّفِينَةُ تَتَهَادَى عَلَى صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ ، وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِهَا نَتَفَرَّجُ عَلَى ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْمَائِيَّةِ ، مِنْ أَسْمَاكٍ ، وَحِيتَانٍ ، وَسَلَاحِفَ وَطُيُورٍ ، وَكُلَّمَا ٱنْتَهَيْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ أَوْ مَرْفَإٍ نَزَلْنَا ، وَعَرَضْنَا مَا عِنْدَنَا لِلْبَيْعِ ، وَٱبْتَعْنَا أَحْسَنَ ٱلسِّلَعِ وَأَجْوَدَ ٱلْبَضَائِعِ .

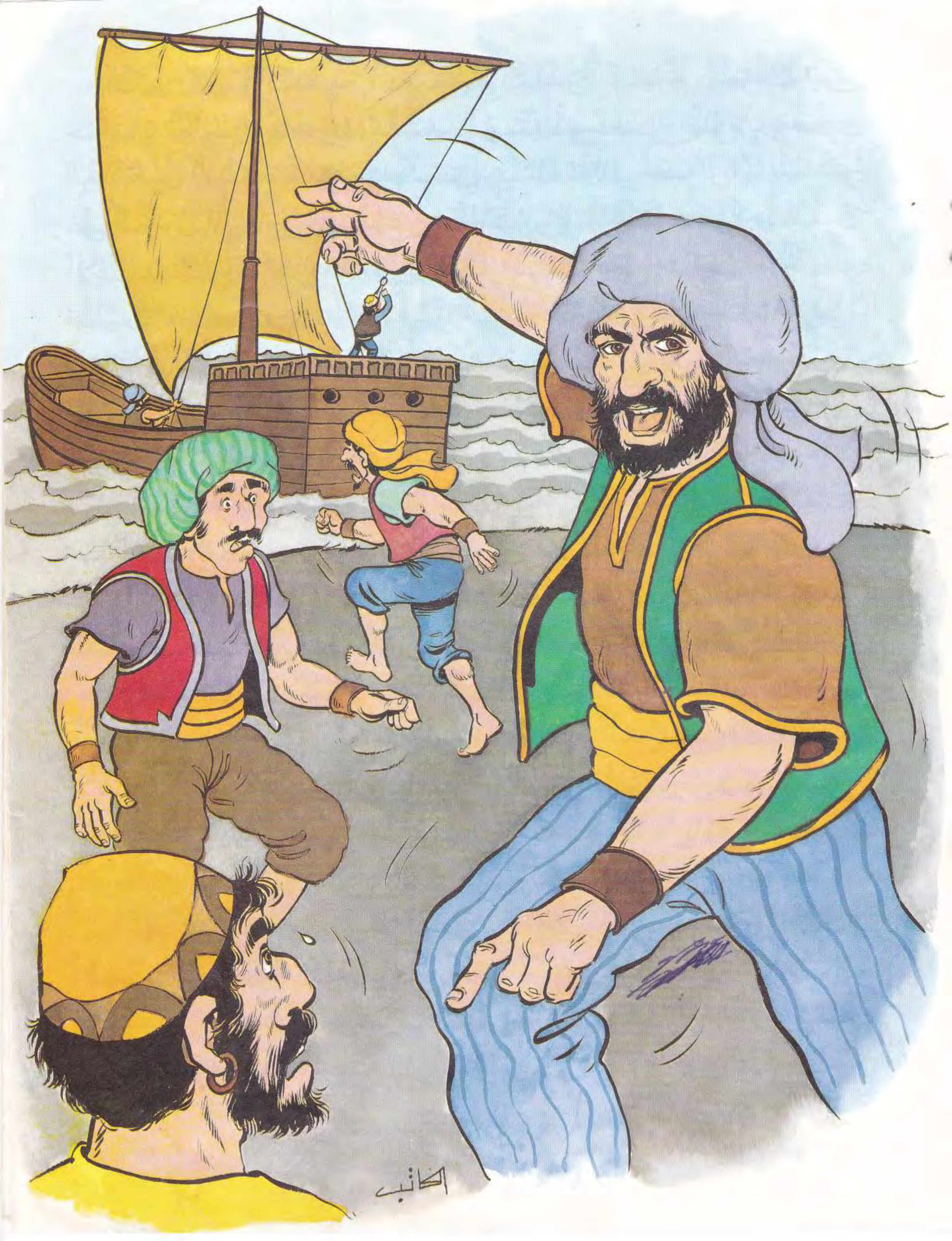

الكاتب

هَكَذَا كَانَ دَأْبُنَا مُدَّةَ أَسَابِيعَ مُتَوَالِيَةٍ ، وَذَاتَ يَوْمٍ ، أَشْرَفْنَا عَلَى جَزِيرَةٍ لَطِيفَةٍ ، صَغِيرَةٍ ، مُنْبَسِطَةٍ ، تَبْدُو خَضْرَاءَ كَٱلزَّبَرْجَدِ، فَطَوَى ٱلْمَلَّاحُونَ ٱلْأَشْرِعَةَ ، وَرَمَوْا ٱلْمَرَاسِيَ، عِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ ٱلرُّكَّابُ يَتَنَافَسُونَ عَلَى ٱلنُّزُولِ إِلَى سَاحِلِهَا. وَسُرْعَانَ مَا ٱنْتَشَرُوا فِي أَرْجَائِهَا، هَؤُلَاءِ يَتَأَمَّلُونَ ٱلْأَعْشَابَ ٱلطَّرِيَّةَ ٱلنَّاجِمَةَ ، وَأُولَئِكَ قَدِ ٱسْتَلْقَوْا عَلَى بِسَاطِهَا ٱلْأَخْضَرِ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَأَوْقَدُوا ٱلنَّارَ، وَشَرَعُوا فِي طَبْخِ ٱلطَّعَامِ، وَفَجْأَةً شَعَرْنَا كَأَنَّ ٱلْجَزِيرَةَ تَمِيدُ بِنَا، فَٱلْتَفَتَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ حَائِرِينَ ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَخَذَتِ ٱلْجَزِيرَةُ تَضْطَرِبُ، وَتَتَحَرَّكُ ، فَدَاخَلَنَا مِنَ ٱلْفَزَعِ مَا لَا يُوصَفُ، وَأَخَذْنَا نُهَرْوِلُ. فَصَاحَ بِنَا ٱلرُّبَّانُ قَائِلًا :

- اِنْصَرِفُوا إِلَى ٱلسَّفِينَةِ عَلَى ٱلْفَوْرِ، وَإِلَّا غَرِقْتُمْ فِي ٱلْبَحْرِ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ جَزِيرَةً كَمَا تَوَقَّعْنَا، إِنَّمَا هِيَ حُوتَةٌ كَبِيرَةٌ، خَرَجَتْ مِنْ أَعْمَاقِ ٱلْيَمِّ، طَلَبًا لِلرَّاحَةِ ، وَلَمَّا طَالَ بَقَاؤُهَا فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ، نَبَتَ ٱلْعُشْبُ عَلَى ظَهْرِهَا، وَعِنْدَمَا أَحَسَّتْ بِحَرَارَةِ ٱلنَّارِ، تَحَرَّكَتْ.

فَأَخَذَ ٱلرُّكَّابُ يَتَدَافَعُونَ لِٱمْتِطَاءِ ٱلْمَرْكَبِ، وَهُمْ فِي حَالَةٍ لَا تُوصَفُ مِنَ ٱلْفَزَعِ وَٱلرُّعْبِ. أَمَّا ٱلرُّبَّانُ وَٱلْمَلَّاحُونَ فَكَانُوا يَنْشُرُونَ ٱلْأَشْرِعَةَ ، وَيَرْفَعُونَ ٱلْمَرَاسِيَ فِي مُنْتَهَى ٱلسُّرْعَةِ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ أَبْحَرُوا ، وَقَدْ تَرَكُونِي عَلَى ظَهْرِ ٱلْحُوتَةِ ، أُشِيرُ إِلَيْهِمْ ، وَأُنَادِيهِمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا لِي.

بَقِيتُ أُلَوِّحُ بِيَدِي ، وَأُنَادِي رِفَاقِي فَتْرَةً مِنَ ٱلزَّمَنِ ، وَلَمَّا أَخَذَتِ ٱلسَّمَكَةُ ٱلْكَبِيرَةُ تَغُوصُ فِي ٱلْمَاءِ ، كَادَ يَتَوَقَّفُ قَلْبِي عَنِ ٱلنَّبْضِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : « لِمَ أَسْتَسْلِمُ لِلْخَوْفِ وَٱلْحُزْنِ ؟ » وَٱرْتَمَيْتُ فِي ٱلْمَاءِ ، وَأَخَذْتُ أَسْبَحُ تَارَةً عَلَى ظَهْرِي، وَأُخْرَى عَلَى صَدْرِي،

وَلَمَّا أَرْهَقَنِي ٱلتَّعَبُ، تَعَلَّقْتُ بِخَشَبَةٍ، وَأَسْلَمْتُ أَمْرِي لِلَّهِ.

ظَلَّتِ ٱلْأَمْوَاجُ تَدْفَعُ ٱلْخَشَبَةَ بَقِيَّةَ ٱلْيَوْمِ، وَكَامِلَ ٱللَّيْلِ، وَلَمَّا ٱنْتَشَرَ نُورُ ٱلْفَجْرِ، اِنْتَهَيْتُ إِلَى سَاحِلٍ تَتَدَلَّى فَوْقَهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ غَرِيبَةٍ. فَتَشَبَّثْتُ بِأَحَدِهَا وَتَسَلَّقْتُهُ، وَمَا زِلْتُ أَتَتَبَّعُهُ إِلَى أَنِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْبَرِّ، أَكَادُ لَا أَقْوَى عَلَى ٱلْحَرَكَةِ. فَتَهَالَكْتُ عَلَى ٱلرَّمْلِ، وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ، حَتَّى لَا تَرْتَسِمَ أَمَامِي مَشَاهِدُ مَا قَاسَيْتُهُ مِنَ ٱلْأَهْوَالِ، إِلَّا أَنَّ مُحَاوَلَتِي بَاءَتْ بِٱلْفَشَلِ، فَمَا زِلْتُ أَشْعُرُ بِدُوَارٍ فِي رَأْسِي، وَدَوِيٍّ فِي أُذُنَيَّ، كَأَنَّنِي لَمْ أَخْرُجْ مِنَ ٱلْبَحْرِ.

بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ تَزِيدُ، اِسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، لَمْ أُفِقْ مِنْهُ إِلَّا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْمُوَالِي، فَفَرَكْتُ عَيْنَيَّ، وَنَظَرْتُ حَوْلِي، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَى نَفْسِي، وَسِرْتُ أَتَعَثَّرُ فِي ٱلْجَزِيرَةِ، لَا أَعْرِفُ لِي غَايَةً، وَلَا هَدَفًا، وَلَمَّا أَنْهَكَنِي ٱلتَّعَبُ، جَلَسْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَى أَنِ ٱسْتَعَدْتُ نَشَاطِي، ثُمَّ ٱسْتَأْنَفْتُ سَيْرِي.

كُنْتُ أَمْشِي هَائِمًا عَلَى وَجْهِي، تَارَةً فِي سُهُولٍ وَهِضَابٍ وَأُخْرَى فِي أَوْدِيَةٍ وَغَابَاتٍ، أَتَغَذَّى بِأَوْرَاقِ ٱلْأَشْجَارِ، وَبَعْضِ ٱلْأَعْشَابِ، وَأَرْتَوِي مِنْ مِيَاهِ ٱلْعُيُونِ وَٱلْأَنْهَارِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، بَيْنَمَا كُنْتُ أَسِيرُ فِي سَهْلٍ فَسِيحٍ، إِذْ بَدَا لِي مِنْ بَعِيدٍ جَوَادٌ أَصِيلٌ، فَٱتَّجَهْتُ صَوْبَهُ، تَتَنَازَعُنِي مَشَاعِرُ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ، وَمَا كِدْتُ أَدْنُو مِنْهُ حَتَّى سَمِعْتُ رَجُلًا يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَٱلْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ مَغَارَةٍ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ.

اِرْتَعَدَتْ مَفَاصِلِي لِشِدَّةِ ٱلذُّعْرِ، وَتَضَاعَفَتْ دَقَّاتُ قَلْبِي، وَتَلَاحَقَتْ أَنْفَاسِي، وَفَكَّرْتُ فِي ٱلْهَرَبِ، إِلَّا أَنَّ رِجْلَيَّ خَذَلَتَانِي،

فَمَا خَطَوْتُ إِلَّا خُطْوَتَيْنِ حَتَّى كِدْتُ أَسْقُطُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، فَتَسَمَّرْتُ فِي مَكَانِي أَرْتَعِشُ كَٱلْقَصَبَةِ فِي ٱلرِّيحِ.

وَقَفَ ٱلرَّجُلُ أَمَامِي، وَقَالَ لِي فِي لَهْجَةٍ تَدُلُّ عَلَى غَضَبِهِ:

- مَنْ أَنْتَ ؟

أَجَبْتُهُ مُتَلَعْثِمًا:

- اَلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ.
- مَا جَاءَ بِكَ إِلَى هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ ؟
- قِصَّتِي طَوِيلَةٌ يَا سَيِّدِي.
- قُصَّهَا عَلَيَّ.
- أَنْصِتْ إِلَيَّ.

وَأَخَذْتُ أَرْوِي لَهُ مَا وَقَعَ لِي مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ بَلَدِي إِلَى أَنْ أَلْقَتْ بِيَ ٱلْأَمْوَاجُ فِي هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ، فَتَأَثَّرَ لِحَالِي، وَأَخَذَ يُلَاطِفُنِي، وَيُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِي، ثُمَّ أَخَذَنِي إِلَى ٱلسِّرْدَابِ، وَقَدَّمَ لِي شَهِيَّ ٱلطَّعَامِ، وَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ تَنَاوُلِهِ، سَأَلْتُهُ:

- مَالِي أَرَاكَ وَحِيدًا فِي هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ ؟
- بَلْ مَعِي رِفَاقِي.
- أَيْنَ هُمْ ؟
- قُرْبَ ٱلسَّاحِلِ.
- مَا يَصْنَعُونَ ؟
- يَحْرُسُونَ ٱلْخُيُولَ.
- لِمَنْ هَذِهِ ٱلْجِيَادُ ؟
- لِمَوْلَانَا ٱلْمَلِكِ.

- أَتُقِيمُونَ بِهَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ ؟
- بَلْ بِمَجْمُوعَةٍ أُخْرَى مِنَ ٱلْجُزُرِ، حَيْثُ مَقَرُّ جَلَالَةِ ٱلْمَلِكِ، وَلَا نَأْتِي إِلَى هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ إِلَّا لِمُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ.
- هَلْ قَرُبَ وَقْتُ عَوْدَتِكُمْ ؟
- سَنَعُودُ آخِرَ هَذَا ٱلْأُسْبُوعِ.
- هَلْ تَسْمَحُونَ لِي بِمُرَافَقَتِكُمْ ؟
- بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَكَ مَعَنَا.

فَٱنْشَرَحَ صَدْرِي، وَٱطْمَأَنَّتْ نَفْسِي، وَأَخَذْتُ أَدْعُو لِهَذَا ٱلرَّجُلِ، وَقَضَيْتُ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ أَتَجَوَّلُ فِي ٱلْجَزِيرَةِ، تَارَةً وَحْدِي، وَأُخْرَى مَعَ هَذَا ٱلرَّجُلِ، أَوْ بَعْضِ رِفَاقِهِ، وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ ٱلسَّفَرِ، جَمَعَ ٱلسَّاسَةُ ٱلْخُيُولَ، وَأَرْكَبُوهَا ٱلسُّفُنَ، فَسَارَتْ تَمْخُرُ عُبَابَ ٱلْبَحْرِ.

كُنْتُ عَلَى ظَهْرِ أَحْسَنِ ٱلسُّفُنِ، أَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلرُّكَّابِ، عَنْ بَلَدِهِمْ وَمَلِكِهِمْ، وَأَسْأَلُهُمْ عَنْ مَخْلُوقَاتِ ٱلْبَحْرِ ٱلْعَجِيبَةِ، وَعَنِ ٱلْجُزُرِ ٱلَّتِي تَبْدُو لَنَا مِنْ بَعِيدٍ.

رَحَّبَ ٱلْمَلِكُ بِقُدُومِي، وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ ٱلْإِكْرَامِ، وَأَنْزَلَنِي فِي بَيْتٍ خَاصٍّ، وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّنِي لَا أَسْتَلِذُّ إِلَّا ٱللُّقْمَةَ ٱلْمَعْجُونَةَ بِعَرَقِي، عَيَّنَنِي مَسْؤُولًا عَنِ ٱلْمِينَاءِ، أُشَيِّعُ ٱلسُّفُنَ ٱلذَّاهِبَةَ، وَأَسْتَقْبِلُ ٱلْقَادِمَةَ، وَأُسَجِّلُ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ ٱلسِّلَعِ.

أَقَمْتُ بِٱلْمِينَاءِ مُدَّةً، أُرَاقِبُ حَرَكَةَ ٱلسُّفُنِ، وَأَسْأَلُ ٱلْمُسَافِرِينَ عَنْ بُلْدَانِهِمْ، وَعَنِ ٱلْأَمَاكِنِ ٱلَّتِي زَارُوهَا، وَأَقُومُ أَحْيَانًا بِزِيَارَةِ بَعْضِ ٱلْجُزُرِ، فَرَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ مَخْلُوقَاتِ ٱلْبَحْرِ ٱلْعَجِيبَةِ، وَقَدْ

جَلَبَتِ ٱنْتِبَاهِي أَسْمَاكٌ غَرِيبَةٌ، يَبْلُغُ طُولُهَا مِائَةَ ذِرَاعٍ، يَخَافُهَا ٱلْبَحَّارَةُ وَأَصْحَابُ ٱلْمَرَاكِبِ، فَيَقْرَعُونَ عَلَى ٱلْأَخْشَابِ كُلَّمَا رَأَوْهَا، لِتَفِرَّ، وَأَسْمَاكٌ أُخْرَى لَا يَتَجَاوَزُ طُولُهَا ٱلذِّرَاعَ، إِلَّا أَنَّ وُجُوهَهَا كَوُجُوهِ ٱلْبُومِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، بَيْنَمَا كُنْتُ فِي مَرْقَبِي، أَنْتَظِرُ قُدُومَ ٱلْمَرَاكِبِ، إِذْ بَدَتْ لِي سَفِينَةٌ قَادِمَةٌ، فَأَخَذْتُ أَتَتَبَّعُهَا بِٱلْبَصَرِ، وَلَمَّا قَرُبَتْ مِنَ ٱلْمَرْفَإِ، أَمْعَنْتُ فِيهَا ٱلنَّظَرَ، كَأَنَّنِي أَتَثَبَّتُ فِي بَعْضِ جُزْئِيَّاتِهَا، وَلَمَّا أَلْقَتْ مَرَاسِيَهَا، بَادَرْتُ بِصُعُودِهَا، وَأَخَذْتُ أُرَاقِبُ مَا فِيهَا مِنَ ٱلسِّلَعِ، وَأُسَجِّلُهَا فِي دَفْتَرِي، وَلَمَّا كِدْتُ أَفْرَغُ مِنْ عَمَلِي، جَاءَنِي ٱلْحَمَّالُونَ بِبِضَاعَةٍ كُتِبَ عَلَيْهَا: "هَذِهِ وَدِيعَةُ ٱلسِّنْدَبَادِ ٱلْبَحْرِيِّ" فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: "لَقَدْ صَدَقَ مَا تَوَقَّعْتُ" وَٱنْصَرَفْتُ إِلَى ٱلرُّبَّانِ أُهَرْوِلُ، وَمَا إِنْ وَقَفْتُ أَمَامَهُ حَتَّى قُلْتُ لَهُ:

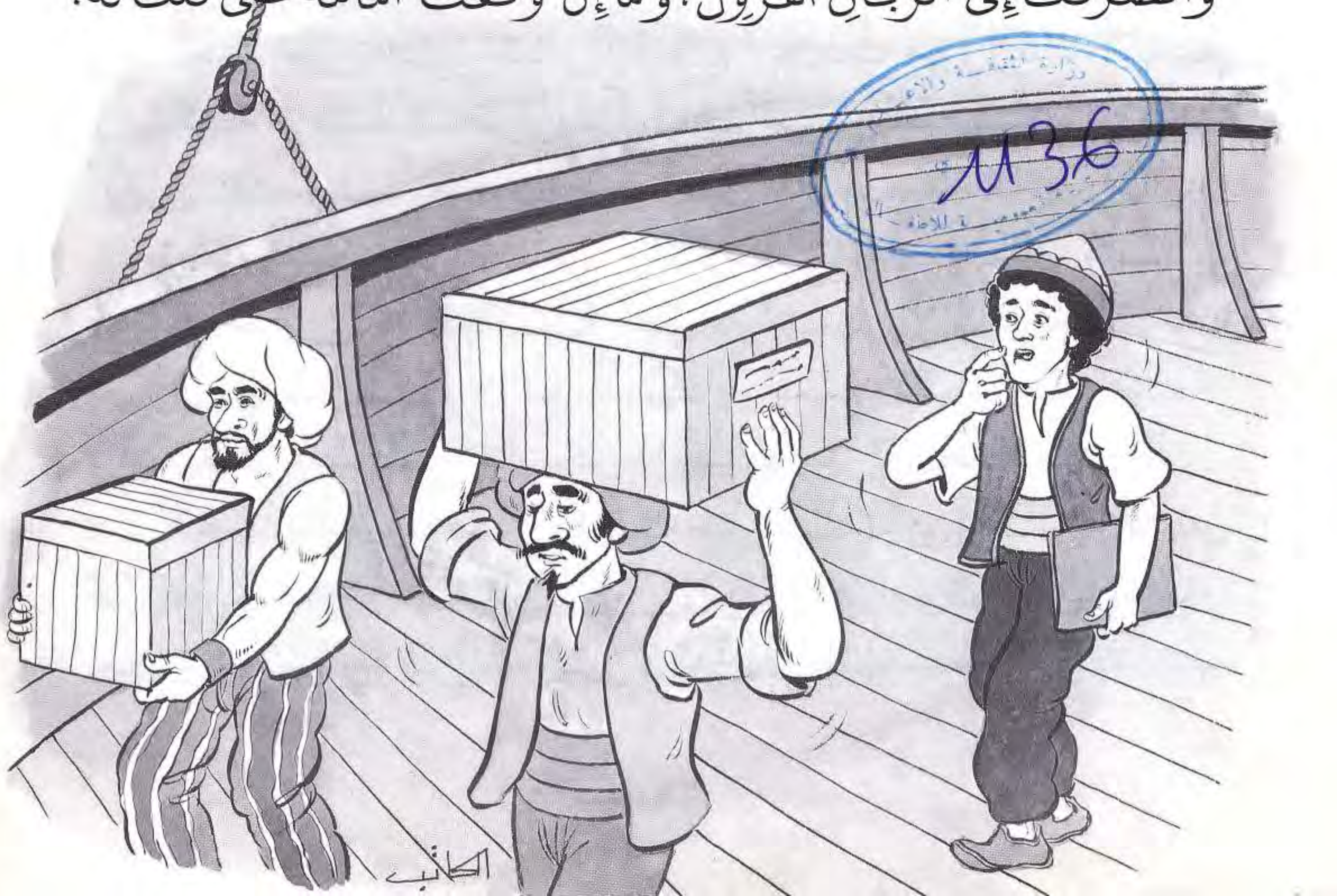

وزارة الثقافة والإعلام
136

- مَنْ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ ٱلْبَضَائِعِ ؟

فَأَجَابَنِي وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ فِي يَدِهِ :

- إِنَّ صَاحِبَهَا رَجُلٌ فِي رَبِيعِ حَيَاتِهِ، خَرَجَ مَعَنَا مِنَ ٱلْبَصْرَةِ، وَقَدْ تَرَكْنَاهُ عَلَى ظَهْرِ حُوتَةٍ كَبِيرَةٍ، ظَنَنَّاهَا جَزِيرَةً، وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا قَدْ هَلَكَ، وَرَغْمَ أَنَّنَا نُرَجِّحُ مَوْتَهُ، فَإِنَّنَا قَدْ حَافَظْنَا عَلَى سِلَعِهِ، وَٱتَّجَرْنَا بِهَا، وَسَنُوصِلُ وَدَائِعَهُ إِلَى أَهْلِهِ بِحَوْلِ ٱللَّهِ.

- بَارَكَ ٱللَّهُ فِيكَ أَيُّهَا ٱلرُّبَّانُ ٱلْأَمِينُ.

ثُمَّ عَرَّفْتُهُ بِنَفْسِي، وَحَكَيْتُ لَهُ حِكَايَتِي، فَهَنَّأَنِي بِٱلسَّلَامَةِ، وَأَخَذَ يُعَانِقُنِي، وَيُقَبِّلُنِي، ثُمَّ أَعْطَانِي أَمْوَالِي وَبَضَائِعِي، فَٱخْتَرْتُ مِنْهَا بَعْضَ ٱلْهَدَايَا وَٱلتُّحَفِ، وَٱنْصَرَفْتُ إِلَى ٱلْقَصْرِ، وَقَدَّمْتُهَا هَدِيَّةً إِلَى ٱلْمَلِكِ، فَشَكَرَنِي، وَلَمَّا عَبَّرْتُ لَهُ عَنْ رَغْبَتِي فِي ٱلْعَوْدَةِ إِلَى بَلَدِي فِي هَذِهِ ٱلسَّفِينَةِ، سَمَحَ لِي بِٱلرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِي، وَأَعْطَانِي أَنْفَسَ مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْهَدَايَا وَٱلتُّحَفِ،

وَدَّعْتُ ٱلْمَلِكَ، وَخَرَجْتُ مِنْ قَصْرِهِ، وَٱنْصَرَفْتُ إِلَى ٱلْأَسْوَاقِ، وَٱبْتَعْتُ مِنْهَا كَثِيرًا مِنَ ٱلْعُودِ، وَٱلصَّنْدَلِ، وَٱلْقَرَنْفُلِ، وَٱلطِّيبِ، وَٱلْحَرِيرِ، وَأَمَرْتُ ٱلْحَمَّالِينَ بِشَحْنِهَا فِي ٱلسَّفِينَةِ، ثُمَّ ٱمْتَطَيْتُهَا مَعَ ٱلتُّجَّارِ، فَسَارَتْ فِي طَرِيقِ ٱلْعَوْدَةِ، تَتَهَادَي عَلَى صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ.

كُنَّا كَعَادَتِنَا نَبِيعُ وَنَشْتَرِي، كُلَّمَا نَزَلْنَا بِٱلْمُدُنِ وَٱلْجُزُرِ، إِلَى أَنْ حَلَلْنَا بِٱلْبَصْرَةِ، فَوَدَّعْتُ رِفَاقِي، وَوَاصَلْتُ ٱلسَّيْرَ إِلَى مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ، تَغْمُرُ ٱلْبَهْجَةُ قَلْبِي، وَيَهُزُّنِي ٱلشَّوْقُ لِلِقَاءِ أَهْلِي وَأَصْحَابِي.

اِسْتَقْبَلَنِي أَهْلِي مُرَحِّبِينَ فَرِحِينَ، لِأَنَّنِي ٱسْتَعَدْتُ ثَرْوَتِي،

وَعُدْتُ سَالِمًا مِنْ رِحْلَتِي ، وَأَغْرَقْتُهُمْ بِٱلْهَدَايَا وَٱلتُّحَفِ ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامُ حَتَّى ٱقْتَنَيْتُ ٱلدِّيَارَ وَٱلضِّيَاعَ ، وَفَتَحْتُ ٱلْمَتَاجِرَ ، وَوَفَّرْتُ فِيهَا ٱلسِّلَعَ ٱلثَّمِينَةَ ٱلنَّادِرَةَ ، وَتَفَرَّغْتُ لِعَمَلِي مُنْكَبًّا عَلَيْهِ ، فَتَضَاعَفَتْ أَمْوَالِي ، وَعِشْتُ فِي رَغَدٍ مِنَ ٱلْحَيَاةِ ، وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَرْبَابِ ٱلثَّرَاءِ ٱلْعَرِيضِ ، وَٱلْجَاهِ ٱلْكَبِيرِ.

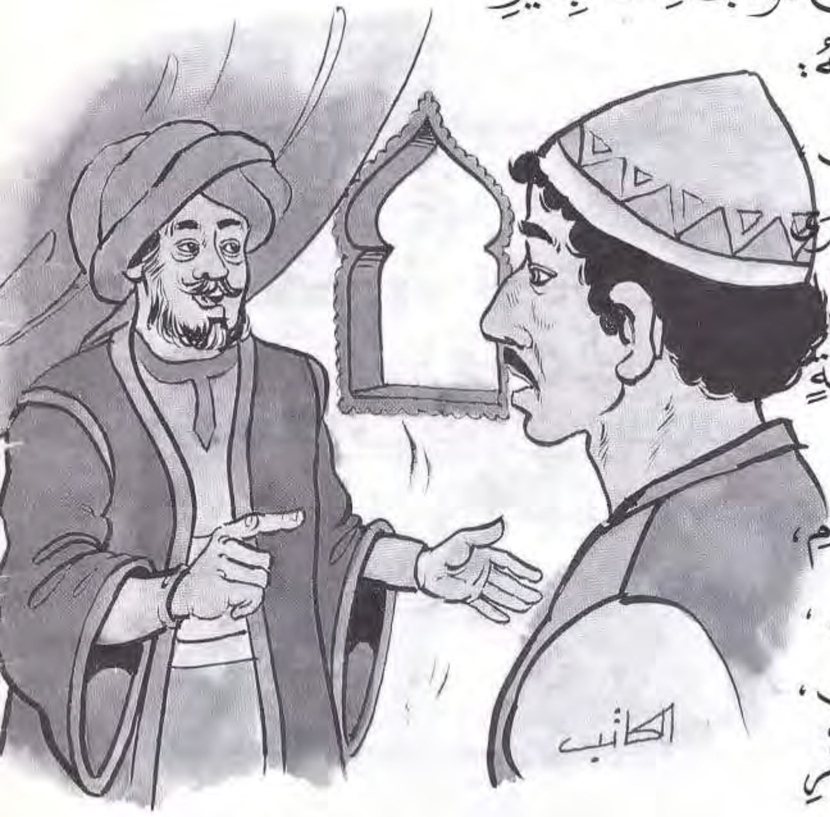

ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ :

- هَذِهِ قِصَّةُ رِحْلَتِي ٱلْأُولَى ، فَإِنْ رَغِبْتَ فِي سَمَاعِ ٱلْقِصَصِ ٱلْأُخْرَى فَأْتِنِي فِي مِثْلِ هَذَ ٱلْوَقْتِ سِتَّةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ لِأَرْوِيَهَا لَكَ كَامِلَةً.

ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى تَنَاوُلِ ٱلطَّعَامِ ، وَبَعْدَ ٱلْفَرَاغِ مِنَ ٱلْأَكْلِ ، أَعْطَاهُ كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَالِ ، وَأَوْصَاهُ بِٱلِٱجْتِهَادِ وَإِعْمَالِ ٱلْفِكْرِ لِلْخُرُوجِ مِنْ حَالَةِ ٱلْفَقْرِ.

A1156
~~2598~~
~~A1136~~

انتهى طبع هذا الكتاب
بالمطبعة الاساسية - بن عروس
في ١٥.٠٠٠ نسخة
فيفري 1993

# مكتبة تونس الخضراء للأطفال

## صدر ضمن هذه السلسلة

1 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الاولى»
2 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الثانية»
3 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الثالثة»
4 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الرابعة»
5 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الخامسة»
6 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة السادسة»
7 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة السابعة»
8 - الوزير والتّاجر
9 - صُرّة الجوهر
10 - بدران ويونان
11 - خبزة الأبناء
12 - الفيل «براتاب»
13 - الدّينصور الصغير
14 - الرّاعي الطّروب
15 - الصّيّاد الصّغير
16 - من حكم الشّيخ
17 - من أدوار جُحا
18 - الفيل الصّغير
19 - شبحُ رجُل مفقود
20 - لغز الخيط الأحمر

ISBN 9973 - 735 - 69 - 2
9973 - 735 - 70 - 6

الثمن : 0.700 د.ت